الإشاريات الزمانية في جوابات الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة ومستدركه

الأستاذ الدكتور
حسن عبد المجيد الشاعر
الباحث
مهند بديع ناجي
جامعة الكوفة - كلية الآداب

The temporal references in the answers of Imam Ali peace be upon him In the approach of rhetoric and beyond

Prof. Dr
Hassan Abdul Majeed the poet
researcher
Muhannad Badi Naji
University of Kufa - College of Arts

الخلاصة :

تُعد الإشاريات الزمانية إحدى العناصر الإشارية التداولية التي لا يمكن الوصول الى دلالتها إلا عن طريق السياق التي ترد فيه وقد حفلت بها جوابات الإمام(عليه السلام) الواردة في نهج البلاغة والكتب المستدركة عليه فقد وظفها(عليه السلام) توظيفا تداوليا إذ أوردها بمعناها الظاهري الصريح تارة وبمعناها المجازي الذي يُبينه السياق تارة أخرى ليُعبر بها عن المعاني التي تجول في خاطره والتي يريد أن يُبلِّغها المُخاطب وتندرج ضمنها الأفعال التي ترد مطلقة من زمنها النحوي التي وضعت له كدلالة الماضي على الحال والاستقبال ودلالة المضارع على الماضي والحال والاستقبال وغير ذلك.

الكلمات المفتاحية : الامام علي ،نهج البلاغة ، جوابات ، الاشاريات الزمانية .

Abstract:

The temporal references are one of the indicative elements of deliberation, whose significance can only be reached through the context in which the answers of the imam, peace be upon him, are contained in the approach of Al-Balajah and the books he is familiar with. It has been used by him as a deliberative use, as he stated in its explicit and explicit meaning, The context sometimes to express the meanings that are wandering in his mind and wants to be communicated to the addressee and include the acts that are absolute from the time of grammar that was developed for him as a sign of the past on the case and reception and the signifier of the past and the present and the future and Saw it.

Keywords: Imam Ali, approach to rhetoric, answers, temporal signs.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الأبرار المنتجبين.

أما بعد فإن نصوص كتاب نهج البلاغة ومستدركاته تُعدُّ نصَّوصا زاخرة ومعيناً ثرّاً للبحث والدراسة من جوانب مختلفة، فهي تمتلك سيرورة معنوية، وإشعاعاً دلالياً لا ينتهي، وهي معجزة الإمام الخالدة، والإبداع الأوّل للعربية والأمثل لها بعد القرآن الكريم، وبحسبان هذه القيمة الجليلة التي تتحلى بها هذه النصوص، ودَّ الباحث خوض الدراسة في هذه الكتب من وجهة تداولية تتمثل بالإشاريات وتحديدا الإشاريات الزمانية فكان عنوان البحث ((**الإشاريات الزمانية في جوابات الإمام علي(عليه السلام) في نهج البلاغة ومستدركه**))؛ وكان الغرض من هذا البحث هو الوقوف على المعاني والدلالات التي تؤديها هذه الإشاريات الزمانية في سياقاتها المختلفة واستكناه تلك الدلالات إذ عُرف عن الدراسات الحديثة ولاسيما التداولية التي تمثل الإشاريات فرعا منها أنها لم تكتفِ بالوقوف على تفسير النصوص بالطريقة التقليدية، أو الوقوف على الدلالات الأولية لها، بل تتعداها إلى البحث عن الدلالات الكامنة خلف بعضها، واستكناه ما لم يصرّح به النص؛ طلباً للدلالة العميقة فيها.

وقد تحدّدت هذه الدراسة في مجموعة من الجوابات الواردة في النهج والكتب المستدركه عليه، والتي تشتمل على إشاريات زمانية تنوّعت تنوّعاً ملحوظاً؛ يتسق مع المعاني، التي سيقت لبيانها.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن تبدأ ببيان مفهوم العنصر الإشاري الزماني وتعريفاته عند الباحثين المحدثين ثم بيان تقسيمات الزمن الثلاث عند أميل بنفنيست ثم بعد ذلك الخوض في تحليل نماذج من الإشاريات الزمانية الواردة

في جوابات الإمام(عليه السلام) تحليلا تداوليا فضلا عن ذكر بعض النماذج من الأفعال الواردة في غير زمنها النحوي التي وضعت له والتي وظفها الإمام(عليه السلام) في جواباته لإنجاز فعل ما يتطلبه سياق الموقف.

وختاما وبعد أن أتممت هذا البحث بمعونة الله أرجو أن اكون قد وفقت في إبراز الدلالة التداولية لتلك العناصر الإشارية من جواباته والكشف عن خفايا استعمالها في سياقاتها المختلفة وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الإشاريات الزمانية هي ألفاظ تدل على زمان يحدده السياق بالقياس إلى زمان التكلم؛ لأن زمان التكلم هو مركز الإشارة (**deictic center**) الزمانية إذ لا بد من معرفة وقت التكلم، فإذا لم يعرف زمان التكلم أو مركز الإشارة الزمانية التبس الأمر على السامع أو القارئ فلا يعود يعرف مرجع تلك الإشاريات والى أي زمان تشير[1].

والإشاريات الزمانية تتمثل بظروف الزمان كـ(**اليوم، وغدا، وأمس، والآن، وقبل، وبعد**) والعبارات التي تدل على الزمن كأن تقول: **يوم الأحد القادم** أو **بتاريخ كذا** أو **بحرفي السين وسوف** وما إلى ذلك من ظروف الزمان الأخرى.

ومما تجدر الإشارة اليه هو أن الإحالة إلى الزمان، لها ارتباط وثيق بسياق التكلم الذي ترد فيه ومن أجل تحديد مرجعيتها، وتأويل الخطاب بصورة صحيحة فإن على المتلقي أن يكون على معرفة بزمان التكلم أو لحظة التلفظ؛ ليتسنى له اتخاذها مرجعا يحيل عليه، كما في خطاب صاحب المتجر (**سأعود بعد ساعة**)، فلا يستطيع المرسل إليه التنبؤ بالوقت الذي سيعود فيه المرسل، إلّا بعد معرفة زمان التكلم والسياق الذي قيلت فيه، فقد يكون التلفظ قد حدث قبل عشر دقاق أو نصف ساعة أو ساعة ويبقى كل ذلك تخمين، فلحظة التلفظ هي المرجع[2].

وأن المقياس الشعوري يختلف في صميمه عن المقياس الزماني، الذي يعتمد في القياس على الأشهر، والأسابيع، والأيام، والساعات؛ لأن المدد الزمانية الموضوعية قد تنكمش في شعور الإنسان أو تتمدد وتبدو طويلة، بحسب مجرى الشعور وسرعة ذلك المجرى، حيث لا وجود للحياة الإنسانية من دون الانفعال والشعور الدائم بالذات، فالإنسان يعيش في قبضة مشقّة نفسية دائمة، فهو بين توقّع من المستقبل، ومعاناة من الحاضر، واستنادا الى ميراثيه النفسي والاجتماعي من الماضي[٣].

ومما ينبغي لفت النظر إليه أن العناصر الإشارية قد تكون دالة على الزمان الكوني الذي يفترض سلفا تقسيمه على فصول، وسنوات، وأشهر، وأيام، وساعات وقد تكون دالة على الزمن النحوي الذي ينقسم على ماض، وحاضر، ومستقبل، إذ يمكن أن يتطابق الزمنين الكوني والنحوي، وقد يختلف الزمن النحوي عن الزمن الكوني فتستخدم صيغة الحال (**الحاضر**)؛ للدلالة على الماضي، وصيغة الماضي للدلالة على الاستقبال، فيحدث لبس للقارئ لا تحله إلا المعرفة بسياق الكلام ومرجع الإشارة، وقد تستغرق الإحالة المدة الزمانية كلّها، نحو: يوم الأربعاء، وقد تتحدد، نحو: ضرب زيد عمرا اليوم؛ فالضرب لا يستغرق اليوم جميعه، بل في جزء منه، وقد تتسع فتتجاوز الزمان المحدد عرفاً إلى زمان أوسع[٤]، فـ((الفعل الماضي عادة يضع الحدث في نقطة زمنية سابقة على زمن التكلم بينما الفعل المضارع في العادة يضع الحدث في نقطة زمنية ليست سابقة على زمن التكلم))[٥]، ومن ثمَ فـ((لا مفرّ إذاً من النظر إلى الزمن في السياق نظرة تختلف عمّا يكون للزمن في الصيغة؛ لأنّ معنى الزمن النحوي يختلف عن معنى الزمن الصرفي من حيث أنّ الزمن الصرفي وظيفة الصيغة، وأن الزمن النحوي وظيفة السياق تحددها الضمائم والقرائن))[٦].

ومن هنا يُرى((أنّ وقوع الصيغ المتغايرة في مستوى تركيبي واحد يعني تفريغ صيغة ما دون غيرها من الزمن حيث تشير إلى وجه من وجوه دلالتها الحدثية ومن هنا يكون من الخطأ إسناد الزمن إلى مثل هذه الصيغ بوصفها (شكلا زمنيا) لأنّ الزمن يُكتسب من قرائن السياق اللفظية والمعنوية))[٧] ، من ذلك قوله تعالى: ﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ﴾ [٨]، إذ نلحظ أنَّ الزمن النحوي للفعل (أسرى) ماض، وقد حدث فعلا على حين يُلحظ في قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴾ [٩]، أن الزمن النحوي للفعل **(أعطى)** لا يطابق الزمن الكوني؛ لأن فعل الإعطاء لم يكن قد وقع بعد وإنما فيه تبشير للنبي بوقوعه مستقبلا فجاء الفعل على سبيل الزمن الماضي ولكنه لم يحدث في الكون، وهذا التمييز بين الأزمنة لم نجده عند المحدثين فحسب بل تلحظ جذوره ممتدة عمقا لدى القدماء فقد تحدثوا عن ظاهرتين لهما علاقة بعدم التطابق بين زمني وجود الحدث والتكلم أو الإخبار عن الحدث، فهذا **ابن هشام (ت٧٦١هـ)** يشير الى ذلك بقوله: ((يعبرون عن الماضي والآتي، كما يعبرون عن الشيء الحاضر قصْداً لإحضاره في الذهن حتى كأنّه مُشاهد حالة الإخبار))[١٠]، على حين يذكر **السيوطي (ت٩١١هـ)** بأن ذلك من طرائق العرب وسننها في الكلام بقوله: ((ومن سنن العرب، أن تأتي بلفظ الماضي وهو حاضر أو مستقبل، أو بلفظ المستقبل وهو ماضٍ، ﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ ﴾[١١]، أي يأتي ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ ﴾[١٢]، أي أنتم ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴾[١٣]، أي ما تلت))[١٤].

ويعد ظرف الزمان **(الآن)** من الإشاريات الأكثر استعمالا في اللغة العربية وأن ما يحدد دلالته هو المقام فعلى سبيل المثال قولنا:

- أجب الآن.

- التعليم الآن أفضل مما كان عليه قبل عشرين عاما.

فالاختلاف الدلالي في استعمال الظرف (**الآن**) واضح في الجملتين إذ يُلحظ في الأولى يشير الى لحظة التكلم مباشرة على حين دل في الثانية على هذه الأيام مقارنة بما مضى في السابق(١٥).

ولاختلاف الزمن حسب السياق وموقف التكلم ولحظته عمد **إميل بنفنيست(E.Benveniste)** الى تقسيم الزمن على ثلاثة أقسام معتمدا فيه على علاقة المتكلم بالزمن وهي(١٦):

١. **الزمن الطبيعي**: وهو ما يحس به الإنسان ويدركه في حياته ويختلف انقضاؤه من بيئة الى أخرى ويمتاز عن غيره من الأزمنة بالاستمرارية.
٢. **الزمن التاريخي**: ويُراد منه بأن الإنسان بوصفه جزءا لا يتجزأ من البيئة التي ينتمي إليها وأنه كائن حي، تتعاقب عليه مجموعة من الأحداث، يمكنه أن يؤرخ لحياته من بدايتها الى نهايتها عن طريق الذاكرة لتأليف ما يُسمى بالسيرة الذاتية.وهذا الزمن – أي التاريخي- يعود الى تاريخ أو مدة تاريخية في حضارة أو بيئة معينة.
٣. **زمن الحدث**: وهو المقصود والمعوَّل عليه في هذه الدراسة وقد أطلق عليه **بنفنست** مصطلح (زمن الحديث)، وسماه الفيلسوف الفرنسي **تودوروف(Todorov)** (زمن التخاطب)، وهو البحث عن تمثيلية الزمن في ارتباطه بلحظة الحديث ويتجلى زمن الحديث في الحاضر الذي يشكل مرجعيته أما الماضي والمستقبل فمتعلقان به.

أما في جوابات الإمام(عليه السلام) فقد كان للإشاريات الزمانية حضور قوي وواضح فيها إذ أوردها(عليه السلام) بمعناها الحقيقي تارة وبمعناها المجازي تارة أخرى ونقصد بالمجازي ما دلَّ على أزمنة تفوق زمنه النحوي فضلا عن استعماله(عليه السلام) كثيرا من الأفعال التي خرجت عن زمنها النحوي كاستعمال الفعل الماضي للدلالة على الماضي، والحاضر، والاستقبال، واستعمال

المضارع للدلالة على الماضي، والحال، والاستقبال ومن ثمَّ يخالف الزمن النحوي فيها الزمن الكوني؛ وكل ذلك عائد الى المقام وما يتطلبه من استعمال خاص يتناسب معه.

ومن ذلك قوله(عليه السلام) موردا الظرف(**يوما**) بمعناه المجازي[17]: (**أُفٍّ لَكُمْ لَقَدْ لَقِيتُ منْكُمْ بَرْحاً يَوْماً أُنَادِيكُمْ وَيَوْماً أُنَاجِيكُمْ، فَلاَ أَحْرارُ صِدْق عِنْدَ النِّدَاءِ، وَلاَ إِخْوَانُ ثِقَة عِنْدَ النَّجَاءِ**)[18]، فقد كان خطابه(عليه السلام) هذا موجها الى أصحابه - الذين مما يؤسف عليه أن يدعون بالأصحاب- بعد أن رضخوا لأمر التحكيم وعندما تمكن الإمام من معاوية وأصبح النصر وشيكا حصل المكر من معاوية بحادثة رفع المصاحف التي اغتر بها من في قلبه زيغ فقد خاطبهم الإمام(عليه السلام) نتيجة لفعلهم هذا خطاب المستاء المتضجر بدلالة استعماله مفردة (**أفٍّ**)، فهي توضح الحالة المأساوية المزرية التي وصلت اليها الحال بين الإمام(عليه السلام) وهؤلاء القوم فقد قاسى كثيرا بينهم ولقي منهم التخاذل والإعراض والجفوة والانحياز الى صف الباطل، فهم لا يجتمعون على حق البتة وقد ورد العنصر الإشاري المتمثل بظرف الزمان (**يوما**) في موضعين مكتسبا قيمة تداولية تتجلى في دلالته الخاصة؛ لأنه لا يراد به اليوم المُؤَلَّف من (٢٤) ساعة؛ لأن النداء أو النجاء في حقيقة الأمر لا يكون في اليوم كله وإنما يكون في وقت معين محدد معلوم من اليوم فكان الظرف هنا يدل على وقت من الأوقات فيكون المعنى: أي لستم أهلا لا في وقت النداء ولا في وقت النجاء فقوله: (**يَوْماً أُنَادِيكُمْ**)، أي: أجهر بالقول[19]؛ لأن في النداء إشارة الى رفع الصوت[20]، فكان دائما ما يدعوهم الى الجهاد ونصرة الحق[21]، فيكون الوقت الذي يناديهم فيه(عليه السلام) هو وقت الدعوة الى الحرب والقتال والتحشيد والحث على الجهاد وشحذ الهمم.

أما قوله(عليه السلام) :(**وَيَوْماً أُنَاجِيكُمْ**)، فالنجوى تشير الى الكلام الخفي[22]كالمناجاة التي تكون بين العبد وربه، والنجوى التي أرادها الإمام

هنا هي المشاورة والمسارّة[٢٣]، فالإمام(عليه السلام) لعدالته وإنصافه في اتخاذ القرارات لا نجده مستبدا برأيه على الرغم من علمه بحقيقة نفوس القوم فهو يشاورهم بجميع الأمور التي تصب في المصلحة العامة، التي من شأنها أن تدفع الأذى والظلم عن المسلمين فيكون الوقت المعني باليوم هنا هو عندما تستجد الأحداث التي يحصل فيها تحاور ومشورة غير أنهم في كلا الأمرين منصرفون عنه وليسوا أهلا لتلك المكانة التي يريدها لهم الإمام فلم يكونوا ليستجيبوا لندائه والانصياع لأوامره ولم يكتموه سرا أو حديثا فجاء خطابه نتيجة لذلك بقوله(عليه السلام): (**فَلاَ أَحْرارُ صِدْق عِنْدَ النِّدَاءِ**)، أي: لا تنصرون ولا تحمون ولا تدفعون الظلم بل رضيتم بالعبودية واستكنتم الى الدنيا[٢٤]وقوله(عليه السلام):(**وَلاَ إِخْوَانُ ثِقَة عِنْدَ النَّجَاءِ**): أي لا تكتموا السر وتحفظونه حينما أخصكم بالحديث[٢٥]، ومن ثمَّ فلستم أنتم الفئة التي يستوثق بها المرء عندما يدخل ساحة الصِّراع.

ومن توظيفة(عليه السلام) لظرف الزمان (أمس)[٢٦] توظيفا تداوليا أيضا قوله بعد أن صحب **جابر بن عبد الله الأنصاري** الى الجبانة وسلم على أهل القبور فسمع جابر ضجة وهجة فسأل الإمام عن ذلك فأجابه عليه السلام :((**هَؤلَاءِ بِالأَمْسِ كَانُوْا مَعَنَا وَاليَوم فَارَقُوْنَا، إِنْ تَسْأَل عَنْ أَحْوَالِهِم فَهُمْ أُخْوَانٌ لَا يَتَزَاوَرُونَ وَأَوِدّاءَ لَا يَتَعَاوَدُوْن ... يَا جَابِر اعْطُوْا مِنْ دُنْيَاكُمُ الفَانِيَة لِآخِرَتَكُم البَاقِيَة، وَمِن حَيَاتِكُم لِمَوْتِكُم، وَمِن صِحَّتَكُم لِسَقَمِكُمْ، وَمِن غِنَاكُمْ لِفَقْرِكُم، اليَوْمَ أَنْتُم فِي الدُّوْرِ، وَغَداً فِـــــي القُبُور**))[٢٧].

فقد وردت الإشاريات الزمانية في جوابه(عليه السلام) في أكثر من موطن، وهي جميعها جاءت على غير حقيقتها الزمنية المتفق عليها، ففي قوله(عليه السلام) :(**هَؤلَاءِ بِالأَمْسِ كَانُوْا مَعَنَا**) يشير بـ(**الأمس**) الى الماضي المنقضي، أي الزمن الذي كان يعيشه هؤلاء المتحدث عنهم مع المتحدِث وأن الظرف (**أمس**) يخالف الأسماء من حيث التعريف والتنكير فهو ينَّكر عند تعريفه بـ(**أل**) وبحسب هذا خرج في

هذا القول من نطاق اليوم الذي هو قبل يومنا الى نطاق الزمن الذي يعيشه الإنسان منذ ولوجه الحياة حتى مماته ومن ثم كان الظرف (**أمس**) مساويا لمدة حياة الإنسان في هذا السياق.

وأما في قوله(عليه السلام): (**وَاليَوم فَارَقَوْنَا**) فظرف الزمان (**اليوم**) دل على الماضي، والحاضر فهو يشتمل على المدة التي فارقوا بها الحياة الى وقت التكلم، أي في الزمن الذي عشناه ونعيشه حتى أنَّ دلالة الظرف اتسعت لتشمل المستقبل، أي في الزمن الذي سنحياه حتى ينتقلوا الى الدار الآخرة، والخطاطة الآتية توضح لنا استعمال الظرفين:

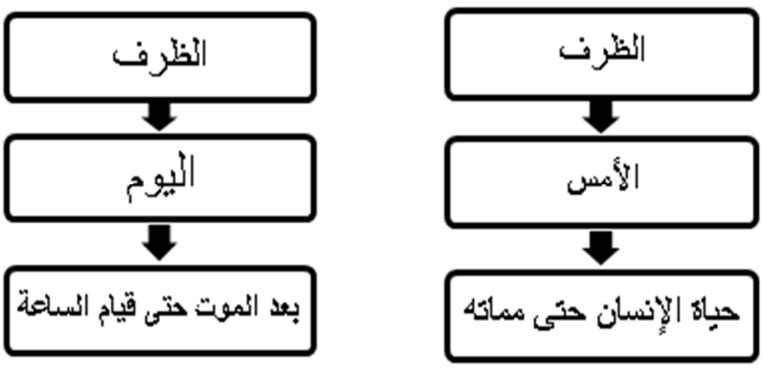

ثم تُعاد الصورة بصوغ أمثلة أخرى عن طريق التغاير بين الظروف وإكسائها لباسا جديدا ودلالة جديدة بذكر العنصرين الإشاريين اليوم و(غدا)[٢٨] بقوله(عليه السلام):(**اليَوْمَ أنْتُم فِي الدُّوْرِ، وَغَداً فِي القُبُور**) إذ كانت دلالة (**اليوم**) الحياة التي يقضيها الإنسان في دار الدنيا، و(**غدا**) اللحظة التي تفارق روحه الجسد، وتمتد الى قيام الساعة التي يصير اليها الخلق جميعا. وقد تضمنت هذه الظروف بدلالاتها المتنوعة جملة من الإيحاءات التي تحمل النفس الإنسانية على التفكر والتدبر مليا فالإمام(عليه السلام) في جوابه هذه قد وجه خطابه الى جابر ظاهرا، الذي يُمثَل المتلقي المباشر الأول. أما باطنه فهو رسالة الى كل سامع ولبيب فالمرسل هنا واحد، على حين أن المتلقي متعدد بدلالة

استعماله لضمير الجمع في الخطاب (**أعطوا**) فيكون المعنى انت(**السامع**) وسواك ممن آثر الدنيا الفانية على الآخرة الباقية. وأن في قوله(عليه السلام):(**يَا جَابِر اعْطُوْا مِنْ دُنْيَاكُمُ الفَانِيَةِ لِآخِرَتَكُم البَاقِيَة...اليَوْمَ أَنْتُم فِي الدُّوْرِ، وَغَداً فِي القُبُور**). نصح وإرشاد من جهة إذ يحمل السامع على التنبه من الغفلة كي لا يفوته الفوت ويشتمل في خاتمته من جهة أخرى على معنى التحذير والتخويف. فهو كلام تخشع له القلوب وتقشعر له الأبدان، له وقع بالغ الأثر في نفس المؤمن وقد ساهمت العناصر الإشارية الزمنية في تقديم هذا المعنى.

ومن استعماله(عليه السلام) للظرف (**الآن**)[٢٩] ؛ الذي ورد في مواضع قليلة من جواباته قوله مجيبا على من سأله عن قول الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم): (**غَيِّرُوا الشَّيْبَ، وَلاَ تَشَبَّهُوا بِالْيَهُود**)[٣٠]، **فَقَال**(عليه السلام): ((**إِنَّمَا قَالَ**(صلى الله عليه وآله وسلم) **ذلِكَ وَالدِّينُ قُلٌّ، فَأَمّا الاْنَ وَقَدِ اتَّسَعَ نِطَاقُهُ، وَضَرَبَ بِجِرَانِه، فَامْرُؤٌ وَمَا اخْتَارَ**))[٣١].

فقد وُظِّف ظرف الزمان (**الآن**) توظيفا تداوليا مكتسبا دلالة جديدة تُزاد على دلالته المتمثلة بالآنية أو لحظة التكلم إذ كانت إشارته في السياق الى الزمن الذي بدأ مع انتشار الدين الإسلامي واتساع رقعته، وزيادته قوة وصلابة، وتفوقه بالعدة والعدد إذ كانت دعوة الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) الى تغيير الشيب وتخضيبه عندما كانت الحاجة ملحة الى ذلك إذ كان المسلمون في صدر الإسلام قلة قد شُغلوا بالغزو والقتال، وكان الكفار إذا ما رأوا المقاتلة من المؤمنين مسودة الشعور شُبانا عند المعركة فإن ذلك يبعث في نفوسهم القلق فيخافونهم[٣٢]، بخلاف ظهورهم بمظهر الكِبر؛ لأن ((الشيخ مظنة الضعف))[٣٣]، وبحسب هذا جاء الأمر من الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) بتغيير الشيب بأسلوب النهي عن التشبه باليهود؛ لانهم لم يكونوا ليعتنوا بصبغ الشيب بقوله(**وَلاَ تَشَبَّهُوا بِالْيَهُود**) غير أن هذا النهي لا يمثل حكما عاما مطلقا من الزمن، واجب العمل به بل ينتهي وجوبه مع انتفاء الحاجة إليه. وتأسيسا على

هذا جاء تفسير الإمام(عليه السلام) له بالإباحة. فقد جعل الاختيار فيه عائدا للمرء نفسه، بعد أن صلب عود المسلمين والدين الإسلامي ولم تعد هنالك حرب بينهم وبين المشركين ومن ثمَّ فلا استحباب في الخضاب[٣٤]، فكان الزمن الذي حمله الظرف بين دفتيه هو الماضي بحسبان وقت التكلم؛ لأن الإسلام كان قد وصل مرحلة متقدمة من الانتشار والاتساع قبل لحظة التكلم فضلا عن أنه قد دل على الحاضر؛ لأن الأمر حاصل وقت التكلم وكذا المستقبل بوصف الدين الإسلامي مستمرا بالانتشار فضلا عن ازدياد المسلمين عاما بعد آخر.

ومن ثمَّ لم يقتصر العنصر الإشاري الزمني(**الآن**) المذكور في الخطاب على وقته الآني وإنما اتسع ليشمل زمانا آخر حدده سياق المقال.

وقد يرد الفعل في جواباته(عليه السلام) مطلقا من زمنه النحوي[٣٥] من ذلك قوله في جوابه **جابر بن عبد الله الأنصاري** بعد أن سأله: (**كيف أصبحت يا أمير المؤمنين؟**)، فجاء ردُّه(عليه السلام) ((**أَصْبَحْنَا وَبِنَا مَنْ نِعَمِ الله رَبِّنَا مَا لَا نُحْصِيهِ مَعَ كَثْرَةِ مَا نَعْصِيهِ، فَلَا نَدْرِي مَا نَشْكُرُ أَجَمِيل مَا يُنْشَرُ أَمْ قَبِيحُ مَا يُسْتَر**))[٣٦]، فقد ابتدأ كلامه(عليه السلام) باستعماله أسلوب الجمع عن طريق توظيفه ضمير المتكلم(**نا**) ليوحي بأن ما سيُقال هو واقع على الناس جميعا، وأنهم داخلون في قوله، فنعم الله(سبحانه وتعالى) واصلة الى مخلوقاته كلها وأن الله(سبحانه وتعالى) ينعم على المؤمن والكافر، والمجحد، والشاكر، والمستحق وغير المستحق. ومن ثمَّ لفت الإمام(عليه السلام) ذهن السامع وجعله منشدًا الى قوله، وهو عدم إحصاء نعم الله مع كثرة عصيانه ومن ثمَّ فالإمام(عليه السلام) هنا ينبه جابرا على أن الإنسان مهما حاول وجهد في أن يقدر أو يحصي ما أفاض الله عليه من نعم فإنه سوف لا يصل الى نتيجة، إذ وظف الإمام(عليه السلام) في ذلك أسلوب النفي؛ ليشير الى أن الأمر مقطوع لا نقاش فيه وعلى الرغم من ذلك تجد الإنسان في معصية مستمرة متجددة وقد أورد الإمام(عليه السلام) الأفعال المضارعة في جوابه لتكون أكثر مناسبة مع الرسالة التي يريد بثها. إذ نجد أن الفعلين(**نحصي، ونعصي**)

دلًا على الاستمرار والتجدد مع اتساع أفقيهما؛ للدلالة على الماضي أيضا. فنعم الله لا تحصى، ونفي الإحصاء هنا يفيد الإطلاق فهي لا تحصى في الماضي والحاضر والمستقبل وأن المعصية متجددة مستمرة من الخلق، فهي كانت ولا تزال وستبقى إذ لا ينجو منها إلا المُخلصون، الذين امتحن الله قلوبهم للإيمان ومن ثمَ قدمت هذه الأفعال الغرض الإنجازي المُراد منها.

ومن استعمال الفعل الماضي مطلقا من قيده الزمني أيضا، قوله(عليه السلام) مخاطبا معاوية، الذي طالما اتهم الإمام(عليه السلام) بقتل عثمان؛ لأغراض دنيوية دنيئة تكمن في طمعه بالخلافة وسطوته عليها بالقذف، والتنكيل، الذي يوجهه للإمام(عليه السلام) افتراء فيرد عليه الإمام(عليه السلام) قائلا:((**وَلَعَمْرِي، يَا مُعَاوِيَةُ، لَئِنْ نَظَرْتَ بِعَقْلِكَ دُونَ هَوَاكَ لَتَجِدَنِّي أَبْرَأَ النَّاسِ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ**))[٣٧].

فقد أورد الإمام(عليه السلام) الفعل (**نظر**) متضمنا زمني الماضي والحال فهو(عليه السلام) يُحدِّث معاوية في الحال غير أنه استعمل الفعل في زمن الماضي ليقول بأنك يا معاوية لم تنظر بعقلك ولم تطلب الحق في نظرك وهذا الأمر ليس جديد العهد بل منذ زمن بعيد بعد أن قُتل عثمان والى اليوم، فلم تفتش عن الحقيقة ولم تطلبها صادقا في السعي الى ذلك وكأن على بصرك غشاوة فاتبعت هواك حيث يقودك فبقيت مستمرا على غيك واتهامك لي بأني أنا من قتل عثمان فلو تُمحص قليلا لتجدني منه براء. كل هذا المعنى كان قد تجلى لنا عن طريق الاستعمال التداولي للفعل (**نظر**) إذ وظفه الإمام(عليه السلام) توظيفا مناسبا للمعنى الذي يطلبه؛ لأنه(عليه السلام) لو قال (**تنظر**) لتبادر الى ذهن السامع بأن اتهام معاوية للإمام(عليه السلام) ليس بعيد العهد وتأسيسا على هذا جاء جواب الشرط بالفعل المضارع (**تجدني**)، الذي يدل على الحدوث والتجدد؛ لأنَّ معاوية لم يطلب الحقيقة في الزمن الماضي وفوت الفرصة على نفسه ومن جانب آخر فقد ذكر الإمام (عليه السلام) الفعل المضارع؛ ليشير به الى أن الأمر متاح

لك يا معاوية لتعرف براءتي مما تتهمني به متى ما طلبت الحقيقة سواء الآن أو بعد حين وقد لجأ الإمام(عليه السلام) في كلامه الى توظيف أسلوب الشرط الذي يدل على التلازم بين فعل الشرط وجوابه فمتى ما حصل النظر بالعقل تجلت الحقيقة وثبتت البراءة .

وعلاوة على ذلك وظف الإمام(عليه السلام) في خطابه أيضا أسلوب القسم بقوله:(**لعمري**) ليؤكد أنَّ الحقيقة ستكون شاخصة موجودة أمام معاوية ما إن طلبها على حين ستبقى خفية عليه طالما أفلت الزمام لهواه وميوله، التي يوهم بها الناس ويؤلبهم على الإمام ويستنفرهم ضده من أجل الهيمنة على مقاليد السلطة وامتلاك زمام الحكم حتى يبقى مقتصرا على بني أمية.

ومما تقدم يتبين لنا أن الإشاريات الزمانية المستعملة في جوابات الإمام(عليه السلام) والألفاظ الدالة عليها جميعها خاضعة لمقاصد المخاطِب، وعليه _ اي المخَاطب_ أن يكون ذا مقدرة ومعرفة بالسياق لكي يتمكن من تأويلها تأويلا صحيحا إذ كانت جل الإشارات الزمانية التي استعملها الإمام(عليه السلام) في جواباته لا تدل على زمن معين، وإنما على زمن مبهم أو مطلق من دلالته الثابتة ومن ثمَّ يكون الفيصل في إدراك دلالتها هو السياق الواردة فيه، وقد يحدث تناوب وتقليب بين الصيغ فتتغير بحسب المعنى المراد من الخطاب، وهذا التغيير الحاصل يعمل على شد انتباه المخاطَب من أجل تحقيق غرض تداولي، يتمثل في ضمان بقائه طرفاً فاعلا في عملية التواصل.

الخاتمة

بعد الخوض في دراسة الإشاريات الزمانية في جوابات الإمام علي في نهج البلاغة والكتب المستدركة عليه توصل البحث الى النتائج الآتية:

١. لقد كان للإشاريات الزمانية حضور كبير في جوابات الإمام(عليه السلام)، وقد فُتحت دلالتها في الغالب لتشمل أزمنة أخرى تُزاد على زمنها

الأصلي ومن ثمَّ لا يكون تطابقا بين الزمنين الكوني والنحوي، وهي تأسيسا تحقق غرضا تداوليا يتمثل في السعي الى جعل المتلقي طرفا في عملية التخاطب

٢. إن الإشاريات الزمانية الواردة في جوابات الإمام(عليه السلام) في الأعم الأغلب جاءت متحررة من قيود الزمن الخاص بها فمنها ما يتسع أفقها فتشمل أزمانا مختلفة نحو أمس التي تشير الى الزمن الماضي ومنها ما يضيق أفقها فتشمل زمانا أقل من زمنها المتعارف نحو اليوم الذي يرد للدلالة على وقت معين من اليوم وليس كله.

٣. ورود جملة من الأفعال، التي تحررت عن زمنها النحوي الموضوع لها، فاكتسبت قيمة تداولية أرشد إليها السياق المقامي الواردة فيه.

٤. خضعت الإشاريات الزمانية في الجوابات الى مقاصد المتكلم المتمثل بالإمام(عليه السلام) وهو أمر يستدعي من المخاطب أن يكون متنبها لتلك الردود الصادرة من الإمام (عليه السلام)ليبلغ مراد المتكلم ويفهم المقصد من الجواب الملقى إليه.

٥. إن استعمال الإشاريات الزمانية في غير زمنها من شأنه أن يعمل على شد انتباه المخاطب وجعله عنصرا فعالا في العملية التخاطبية ومن ثمَّ يتحقق الغرض المراد من الخطاب.

هوامش البحث

١. ظ: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة: ١٩.
٢. ظ: استراتيجيات الخطاب، عبد الهادي بن ظافر الشهري: ٨٣.
٣. ظ: الاطلال في الشعر العربي دراسة جمالية، محمد عبد الواحد حجازي: ١٦.
٤. ظ: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر:٢٠-٢١.
٥. علم الدلالة السمانتيكية والبراجماتية في اللغة العربية، شاهر الحسن: ١٦٥.
٦. اللغة العربية معناها ومبناها، د.تمام حسان: ٢٤٢ .
٧. الزمن واللغة ، د. مالك يوسف المطلبي: ٧١

٨. سورة الإسراء من الآية : ١.
٩. سورة الكوثر : ١.
١٠. مغني اللبيب ، ابن هشام : ٦ / ٦٩١ .
١١. سورة النحل من الآية: ١.
١٢. سورة آل عمران من الآية: ١١٠.
١٣. سورة البقرة من الآية: ١٠٢.
١٤. المزهر، السيوطي : ١ / ٣٣٥ .
١٥. ظ: الأحاديث القدسية من منظور اللسانيات التداولية، حورية رزقي: ٢٣، (رسالة ماجستير).
١٦. ظ: لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ذهبية حمو الحاج: ١٠٥-١٠٦.
١٧. ظ: على سبيل المثال: نهج البلاغة، نهج البلاغة للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليه السلام)، جمع: الشريف الرضي: ٢٤٣/٢، ٣٤٥/٣، ٤١٣/٤، ٤١٩.
١٨. نهج البلاغة: ١٧٧/٢.
١٩. ظ: منهاج البراعة، ميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي ١٥٨/٨.
٢٠. لسان العرب، (ندي): ٩٧/١٤.
٢١. ظ: بحار الانوار، محمد باقر المجلسي(ت١١١٠هـ): ٣٧٢/٣٣.
٢٢. لسان العرب، ابن منظور(ت٧١١هـ)، (نجو): ٦٤/٨.
٢٣. ظ: منهاج البراعة(الخوئي): ١٥٨/٨.
٢٤. ظ: نفسه.
٢٥. ظ: بحار الانوار: ٣٧٢/٣٣.
٢٦. ظ: على سبيل المثال: نهج البلاغة: ٣٤٥/٣، ٤١٩/٤.
٢٧. مصباح البلاغة، حسن الميرجهاني الطباطبائي: ٢٩٣/٣.
٢٨. ظ: على سبيل المثال: نهج البلاغة: ٢٤٣/٢، ونهج السعادة، محمد باقر المحمودي: ١١٢/٢، ٣٨٣/٧.
٢٩. ظ: على سبيل المثال: نهج البلاغة: ٤١١/٤، ٤٢١، ونهج السعادة: ٣٩٦/٢، ٣٥٨/١٠.
٣٠. المسند الجامع، تح: بشار عواد واحمد عبد الرزاق وايمن ابراهيم الزاملي ومحمود محمد خليل وأبو المعاطي محمد النوري: ٥٩٥/١٠.

٣١. نهج البلاغة:٤/٤٣٥.
٣٢. منهاج البراعة(الراوندي): ٣/٢٦٩.
٣٣. شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد(ت٦٥٦هـ): ١/١٢٢.
٣٤. ظ: منهاج (الراوندي): ٣/٢٦٩.
٣٥. ظ: على سبيل المثال: نهج البلاغة: ١/٥٤، ٧٩، ٢/١٨٦، ٢٤١، ٤/٤٤٧، ومستدرك نهج البلاغة، الشيخ هادي كاشف الغطاء: ٤٧، ٢٢٣، ٢٤٣، ونهج السعادة: ١/٥٦١، ٢/١١٢، ٢٢٢، ٩/١٩٠، ٣١١، ١٠/٥٤.
٣٦. نهج السعادة: ١٠/٣٧٨.
٣٧. نهج البلاغة: ٣/٣٣٨.

قائمة المصادر والمراجع

❖ القران الكريم
١. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، د.محمود احمد نحلة، دار المعرفة الجامعية، مصر، ٢٠٠٢م.
٢. استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ط١، دار الكتاب الجديد، ٢٠٠٤م.
٣. الاطلال في الشعر العربي دراسة جمالية، محمد عبد الواحد حجازي، ط١، دار الوفاء للطباعة والنشر، الاسكندرية، ٢٠٠٢م.
٤. بحار الأنوار الجامع لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر المجلسي(ت١١١٠ه)، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ١٤٠٣ه- ١٩٨٣م.
٥. الزمن واللغة ، د. مالك يوسف المطلبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة – مصر ، ١٩٨٦ م.
٦. شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد(ت٦٥٦ه)، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، ط٢، دار الجيل، بيروت، ١٤١٦ه- ١٩٩٦م.
٧. علم الدلالة السمانتيكية والبراجماتية في اللغة العربية، شاهر الحسن، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الاردن، ٢٠٠١م.
٨. لسان العرب، ابن منظور(ت٧١١ه)، تصحيح: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ١٤١٩ه- ١٩٩٩م.

٩. لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ذهبية حمو الحاج: منشورات مختبر تحليل الخطاب، دار الامل، تيزي وزو،الجزائر.
١٠. اللغة العربية معناها ومبناها، د.تمام حسان، دار الثقافة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩٤م.
١١. المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي، شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته وعلق حواشيه: محمد جاد المولى بك ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، ط٣، مكتبة دار التراث العربي، القاهرة، (د.ت).
١٢. مستدرك نهج البلاغة، الشيخ هادي كاشف الغطاء، تح: السيد ابو الحسن علي الموسوي، منشورات مؤسسة كاشف الغطاء العامة، العراق- النجف الأشرف، ١٤٣٦ه- ٢٠١٥م.
١٣. مستدرك نهج البلاغة الموسوم بمصباح البلاغة، حسن الميرجهاني الطباطبائي، ١٣٨٨ه.
١٤. المسند الجامع، تح: بشار عواد، واحمد عبد الرزاق، وايمن ابراهيم الزاملي، ومحمود محمد خليل، وأبو المعاطي محمد النوري، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٤١٣ه- ١٩٩٣م.
١٥. مغني اللبيب عن كتاب الأعاريب، جمال الدين ابن هشام(ت٧٦١ه)، تح: مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، ط١، دار الفكر بدمشق،١٣٨٤ه- ١٩٦٤م.
١٦. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي، تصنيف: حسن زاده الآملي، ضبط وتحقيق: علي عاشور، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ١٤٢٤ه- ٢٠٠٣م.
١٧. نهج البلاغة للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب□، جمع: الشريف الرضي، شرح: محمد عبده، ط١، منشورات الفجر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ١٤٣٠ه- ٢٠١٠م.
١٨. نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، محمد باقر المحمودي، تصحيح: عزيز آل طالب، ط١، مؤسسة الطباعة والنشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، ١٤١٨ه.

الرسائل والأطاريح

١٩. الأحاديث القدسية من منظور اللسانيات التداولية، حورية رزقي، رسالة ماجستير كلية الآداب والعلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ٢٠٠٥- ٢٠٠٦.